الفصل الثالث

مفهوم الاختيار فى القراءات

- الاختيار عند القرّاء .
- الاختيار فى القراءات .
- الاختيار فى اللهجات .
- الاختيارات المرفوضة .
- اختيار عدم الاختيار .

*** اختيار القراءة عند القرَّاء :**

يقول د . شوقى ضيف [1] :

« ... ولم يفكر (ابن مجاهد) فى أن ينفرد لنفسه بقراءة يشتهر بها وتعرف به ، **ولو فكر لاستطاع فى يسر أن يتميز بقراءة يختارها من قراءات الأئمة ، وليكن مثلاً نافع أساسها ثم يتركه إلى حروف يختارها من لدن قرَّاء آخرين يخالفه فيها ، وبذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة** » .

وهكذا ، وضع د . شوقى ضيف أيدينا ببساطة على « المنهج » الذى اتبعه القرَّاء للانفراد بقراءة ، تعرف بهم ، وتنسب إليهم .

ونقطة الارتكاز فى هذا المنهج هو « الاختيار » . أما الإطار الذى يحكم الاختيار فهو : أن القراءة « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول . أما مقياس نجاح هذا الاختيار من عدمه فهو : القبول والاشتهار عند الناس . وإقبال الناس على قراءة دون أخرى يتوقف أساسًا على عاملين :

١ - **مقياس اللغة** : ومدى اشتهارها وشيوعها فى هذا المصر أو ذاك .

٢ - **سهولة التذكر** : بحيث تستطيع عقول أوساط القرَّاء أن تتمثلها وتستوعبها .

*** اختيار القرَّاء عند ابن مجاهد وابن الجزرى :**

وأوضح د . شوقى أن هذه العوامل كانت تقف وراء اختيار ابن مجاهد لسبعته ، يكتفى بهم عمن سواهم ، فقال :

« ... وليختار (ابن مجاهد) طائفة نابهة من القرَّاء يكتفى بهم عمَّن سواهم حتى تستطيع عقول أوساط القرَّاء أن تتمثلهم وتستوعبهم .

فاجتهد للأمة وللدين وقرآنه العظيم ، وبالغ فى اجتهاده ، حتى استصفى

---

(١) راجع مقدمته لكتاب السبعة : ص ٢٤ .

سبعة من أئمة القرَّاء فى أمصار خمسة ، هى أهم الأمصار التى حملت عنها القراءات فى العالم الإسلامى ، وهى المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ، واختار من المدينة نافعاً ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصماً وحمزة والكسائى ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ،ومن الشام عبد الله بن عامر .

وقد رأى لكل قارىء من قرَّاء الكوفة الثلاثة **مذهباً متميزاً فى القراءة** ينفرد به عن زميليه ، حمله عنه جلة القرَّاء من العالم الإسلامى ، فرأى أن يستبقيهم جميعاً »[1] .

فانظر مفهوم د . شوقى عن الدوافع الكامنة عند ابن مجاهد والتى وقفت وراء اختياره لهؤلاء السبعة دونًا عن غيرهم والتى تركز على أن يتمتع القارىء الذى وقع عليه اختياره « بمذهب » متميز فى القراءة ينفرد به عن غيره ، ثم قارِن هذا المنهج فى الاختيار – والذى مكث فى الأرض – بمنهج ابن الجزرى المعاكس تماماً ، عندما استند فى اختياره للثلاث المكملة للعشر إلى أنها « لم تخرج عنها » ، وهو ما سنعرض له تفصيلاً ، وبخاصة اختيار خلف الذى لم يخرج فيه أبداً عن قراءة من سبقوه فى الكوفة ، ويعقوب الذى حاول التوفيق بين البصرة والكوفة ، ويبدو أن ذلك جاء على حساب « التميز والتفرد في المذهب » مما جعل ابن مجاهد يستبعده – بعد طول تردد – من السبعة مفضلاً عليه الكسائى الذى كان مذهبه أكثر تفرداً فى ميزان ابن مجاهد على الأرجح .

*** الاختيار بين القرَّاء والقراءات عند مكى بن أبى طالب :**

يقول الإمام مكى فى إبانته[2] :

« ... وقد اختار الطبرى وغيره .

وأكثر اختياراتهم إنما هو فى الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :

* قوة وجهه فى العربية .

* وموافقته للمصحف .

---

(١) السبعة : ص ٢٠ . (٢) ص ٨٩ .

* واجتماع العامة عليه .

والعامة عندهم :

* ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة :

فذلك عندهم حجة قوية ، توجب الاختيار .

* وربما جعلوا العامة :

. ما اجتمع عليه أهل الحرمين (مكة والمدينة) » .

فذلك كان محاولة مكى بن أبى طالب لتفسير مفهوم الاختيار ، بانه كان يتم على أساس « المفاضلة بين القراءات » (١) .

ثم انتقل الإمام مكى إلى « احتمال آخر » ، أو قل « فرضية أخرى » ، قد تفسر مفهوم الاختيار ، فافترض أنه ربما كان يتم على أساس « المفاضلة بين القرَّاء » وليس بين « القراءات » ، فقال (٢) :

« وربما جعلوا الاختيار :

* ما اتفق عليه نافع وعاصم .

فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات ، وأصحها سنداً ، وأفصحها فى العربية .

ويتلوهما فى الفصاحة خاصة قراءة :

* أبى عمرو والكسائى » اهـ .

وهكذا فإن رأى الإمام مكى بن أبى طالب لم يخرج عن كونه مجرد « احتمالات » ، أو قل « فروض » وضعها فى إطار محاولته لتفسير معنى ومفهوم « الاختيار » .

---

(١) الاختيار فى القراءات ، منشؤه ومشروعيته : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، سنة ١٩٩٦ ، ص ٦١ .

(٢) الإبانة : ص ٨٩ ، والاختيار : ص ٦٠ .

وقد تراوح فيها بين مقياسين للاختيار :

الأول : قراءات متفق عليها (بين أهل المدينة وأهل الكوفة) .

الثاني : قرَّاء متفق عليهم (نافع وعاصم ، يليهم أبو عمرو والكسائى) .

ولقد أثبتت نتائج الدراسة الإحصائية (سيأتى بيانها تفصيلاً) التنافر الشديد بين اختيارات أهل الكوفة وأهل المدينة، كما أثبتت أيضًا التنافر الشديد بين اختيارات أبى عمرو واختيارات الكسائى فرشًا وأصولاً على السواء .

وصدقت بذلك فراسة الإمام مكى بن أبى طالب حينما اعتبر اتفاق أى من القطبين المتنافرين ، حجة قوية توجب الاختيار ، وإن لم ينص صراحة على تنافر اختياراتهم .

*** اختيار مرفوض بسبب اللغة :**

أولاً : ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) :

وهو من القرَّاء الأربعة عشر (أحد الأربعة أصحاب القراءة الشاذة) .

قال الذهبى عنه : « ولابن محيصن رواية شاذة فى كتاب المنهج وغيره »(١) .

وقال ابن الجزرى : « قراءته فى كتاب المنهج ، والروضة ، وقد قرأت بها القرآن ، ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة ... » .

وقال ابن مجاهد : « كان لابن محيصن اختيار فى القراءة على مذهب العربية ، **فخرج عن إجماع أهل بلده** ، فرغب الناس عن قراءته ، واجمعوا على قراءة ابن كثير لاتِّباعه » .

وقال الامام الطبرى فى تفسيره : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ »(٢) .

(لبداً) : وفيها لغتان : كسر اللام ، وضم اللام .

---

(١) انظر الاختيار فى القراءات : د . عبد الفتاح شلبى ص ٦٤ وما بعدها ، ومعرفة القرَّاء الكبار للذهبى : جـ ١ ، ص ٩٩ . (٢) الجن : ١٩ .

وقراءة الأمصار على كسر اللام ، غير أن ابن محيصن كان يضمها ، وهما بمعنى واحد ، غير أن القراءة التى عليها قرَّاء الأمصار احب إلىَّ . . . » (١) .

وقال ابن مجاهد : « وكان ابن محيصن عالمًا بالعربية ، وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه ، وأخذ عن مجاهد (٢) أيضًا،ويروى أن مجاهد كان يقول : ابن محيصن يبنى ويرصص فى العربية ، **يمدحه بذلك !!** » (٣) .

ثانيا : عيسى بن عمر الثقفى (ت ١٤٩ هـ) :

يقول د . عبد الفتاح شلبى : « وكان الغالب عليه حب (النصب) إذا وجد لذلك سبيلاً » (٤) . ومن اختياراته :

* ﴿ الزَّانِيَةَ وَالزَّانِى . . . ﴾(٥) .
* ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ (٦) .
* ﴿ هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ ﴾ (٧) .

والقراءة العامة على الرفع فيهم .

وكان هذا سببًا فى رفض اختياراته ، وانحساره عن دائرة الضوء فى عالم القراءات .

*** اختيار مرفوض بسبب رسم الكلمات بالمصحف العثمانى :**

وخير مثال له : ابن شنبوذ ، وقد سبق الحديث عنه وعن مذهبه فى إحياء القراءة بالقراءات الشاذة (الخارجة عن مصحف عثمان) والموجودة فى مصحف عبد الله بن مسعود رأس القرَّاء بالكوفة وأبى بن كعب رأس القرَّاء بالمدينة .

---

(١) الاختيار : ص ٦٥ ، وتفسير الطبرى : ج ٢٩ ص ٧٤ .
(٢) مجاهد بن جبر المكى ، أستاذ ابن محيصن وتلميذ ابن عباس .
(٣) السبعة : ص ٦٥ .
(٤) الاختيار : ص ٦٦ ، وطبقات القرَّاء : ج ١ ، ص ٦١٣ .
(٥) النور : ٢ .
(٦) المائدة : ٣٨ .
(٧) هود : ٧٨ .

* **اختيار مرفوض بسبب السند :**

وخير مثال له : ابن مقسم العطار ، وبدعته الشهيرة بمخالفة مبدأ « القراءة سنة متبعة » ، فكان يبتدع من عنـــد نفسه قراءات لم ينقلها عن شيوخ سابقين له ، وإن حافظ فيها على الركنين : رسم المصحف العثمانى ، وموافقة العربية .

وقد سبق الحديث عن دور ابن مجاهد فى محاكمتهما واستتابتهما .

* **مفاضلة بعض أئمة الفقه الإسلامى بين القرَّاء :**

* **كان الإمام مالك بن أنس** (ت ١٧٩ هـ) ، وهو أحد الأئمة الأربعة يميل لقراءة نافع .

يقول ابن مجاهـــد : « حدثنى ... ســـمعت مالكا يقول : قراءة نافع سنة »[١] .

ويفسر الأستاذ سعيد إعراب ذلك ، فيقول[٢] :

« وربما كان لانتشار المذهب المالكى بهذه الديار (المغرب) أثر لذلك ، **فنافع القارىء شيخ لمالك** ، ويروى عنه أنه قال : إن قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له : قراءة نافع ؟ قال : نعم » .

* **كان الإمام أحمد بن حنبل** يفضل قراءة نافع يليها قراءة عاصم ، ولا يحب قراءة حمزة .

يقول سعيد إعراب : « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى : أى القراءة أحب إليك ؟ قال : قراءة أهل المدينة . قلت : فإن لم تكن ، قال : قراءة عاصم »[٣] .

وجاء فى كتاب جمال القرَّاء[٤] :

---

(١) السبعة : ص ٦٢ .

(٢) القرَّاء والقراءات بالمغرب : ســعيد إعــراب ، دار المغرب الإسلامى ، ط ١٩٩٠ ، بيروت ، ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢٣ .

(٤) راجع جمال القرَّاء : ص ٤٧٣ ، والاختيار : ص ٦٠ .

« قال سويد : مضيت أنا وأحمـــد بن رافع إلى أحمـــد بن حنبل فقال : ما حاجتكما ؟

قلنا : نحن نقرأ قـــراءة حـــمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته ، فقال أحمد ابن حنبل : حمزة قد كان من العلم بموضع ، ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم ، فدعونا له وخرجنا » أ . هـ .

*** مفهوم الاختيار عند ابن الجزرى :**

يقول ابن الجزرى (١) : « ... **وبهذا افترق اختلاف القرَّاء من اختلاف الفقهاء ، فإن اختلاف القرَّاء كل حق وصواب نزل من عند الله ، وهو كلامه لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى والحق فى نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنســـبة إلى الآخر صـــواب يحتمـــل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب فى نفس الأمر ، نقطع بذلك ونؤمن به .**

ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له ، وميلا إليه ، لا غير ذلك .

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارىء وذلك الإمام **اختار القراءة** بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فآثره على غيره ، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القرَّاء . وهذه الإضافة **إضافة اختيار** ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد » أ . هـ .

ويقرر ابن الجزرى أنه : ليس فى شىء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض . وكل ما صح عن النبى ﷺ من ذلك فقد **وجب قبوله** إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها .

---

(١) النشر : ج ١ ص ٥٢ .

ومن قرأ على قراءة فلا يدعـــها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله »[1] .

*** رأى عمر بن الخطاب فى اختيار أبى بن كعب (رضى الله عنهما) :**

فى كتاب المصاحف للسجستانى قال[2] :

« والألحان اللغات . وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

إنا لنرغب عن كثير من لحن أبى . يعنى لغة أبى » أ هـ .

*** رأى نافع فى اختيار لأبى عمرو :**

« قال الأصمعى : سمعت نافعًا يقرأ : ﴿ يَقُصُّ الحَقَّ ﴾ فقلت له :

إن أبا عمرو يقـــرأ : (يَقْضِ الحـــق)[3] ... وقال : القضاء مع الفصل[4] .

فقال نافع : وى يا أهل العراق . تقيسون فى القرآن ... !!

ثم أضاف معقبًا ومؤولاً لقول القارئين كليهما :

ومعنى قول أبى عمرو : القضاء مع الفصل : أى أنى (أبو عمرو) اخترت هذه لهذا ، ولم يرد رد القراءة الأخرى .

ومعنى قول نافع : تقيسون فى القرآن : لم يرد به أن قراءتهم (أهل العراق) أخذوها بالقياس ، وإنما يريد أنهم اختاروا ذلك لذلك ! .

والقراءتان ثابتتان عندهما »[5] .

---

(١) النشر : ج ١ ص ٥١ .

(٢) ص ٤١ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

(٣) تمام الآية : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ ﴾ .

(٤) الأنعام : ٥٧ .

(٥) الاختيار : ص ١٦ .

* رأى أبو عمرو فى اختيار للكسائى :

« قال محمد بن صالح : سمعت رجلاً يقول لأبى عمرو : كيف تقرأ : ﴿ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ، قال : (لا يعذّب . . .) فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبى ﷺ : (لا يعذَّب عذابه أحد) ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال : سمعت النبى ﷺ ما أخذته عنه . وتدرى لم ذاك ؟ لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة » .

ويعقب السخاوى على ذلك فيقول (٢) : وقراءة الفتح ثابتة أيضا بالتواتر ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على « وجه التواتر » (٣) يريد السخاوى بذلك أن يجد العذر لأبى عمرو لإنكاره ورده قراءة ثبتت متواترة عند الكسائى ، بأنها لم تثبت متواترة عند أبى عمرو .

* ابن مجاهد يصف قراءتى أبى عمرو والكسائى بأنهما « اختيار » :

* يقول ابن مجاهد : « واختار (الكسائى) من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة »(٤) .

* ويقول ابن مجاهد أيضًا : « لا يكاد (أبو عمرو) يخالف فى اختياره ما جاء عن الأئمة قبله » (٥) .

ويقول ابن مجاهد مؤكداً على أن قراءة أبى عمرو لم تخرج عن كونها اختيار :

---

(١) الفجر : ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) جمال القرّاء : ج ١ ص ٢٣٥ .
(٣) الاختيار : ص ٣١ .
(٤) السبعة : ص ٧٨ .
(٥) السبعة : ص ٨١ .

« وكان أبو عمرو حسن الاختيار »[٦] .

وقال : « حدثنى محمد بن عيسي بن حيان ، قال حدثنا نصـــر بن على قال : قال لى أبى : قال لى شعبة (أحد راويى عاصم) :

أنظر ما يقرأ به أبو عمـــرو **مما يختار لنفسه** فاكتبه فإنه سيصير للناس إسناداً »[٢] .

*** ابن الجزرى يصف قراءة خلف العاشر بأنها « اختيار » :**

يقول ابن الجزرى :

« قال أبو بكر بن اشته : إنه (خلف) خالف حمزة – يعنى فى اختياره – فى مائة وعشرين حرفًا . قلت (ابن الجزرى) : تتبعت اختياره فلم أره يخرج عن قراءة الكوفيين فى حرف واحـــد ، بل ولا عن حمـــزة والكسائى وأبى بكر (شعبة) إلا فى حرف واحد »[٣] .

ثم يقول مؤكداً على تســميه قراءة خلف العاشر بأنها « **اختيار خلف** » : « وتوفى الوراق سنة ست وثمانين ومائتين وكان ثقة فيما بالقراءة ضابطًا لها منفرداً برواية **اختيار خلف** لا يعرف غيره »[٤] .

*** وأطلق الإمام الحافظ أبو عمرو الدانى اسم « الاختيار » على قراءة يعقوب :**

فقال : « وائتم بيعقوب فى اختياره عامة البـصريين بعد أبى عمرو ، فهم أو أكثرهم على مذهبه »[٥] .

*** وأطلق الإمام الرازى لفظ « الاختيارات » على « القراءات » :**

قال الرازى وهو بصدد الحديث عن اختـــيار ابن مجاهـــد للقرَّاء السبعة : « فإن قيل : فقد اجتمعت على الائتمام بهم (القرَّاء السبعة) وقبول

---

(١) السبعة : ص ٨٤ .
(٢) السبعة : ص ٨٢ .
(٣) النشر : ج ١ ص ١٩١ .
(٤) النشر : ج ١ ص ١٩١ .
(٥) النشر : ج ١ ص ١٨٦ .

اختياراتهم ، فالجواب : إن الأمـــر على ذلك أو قريب منه وهذه سنة الله فى خلقه » (١) .

وقال الرازى أيضًا مؤكداً على مفهومه عن القراءات السبع بانها لم تخرج عن كونها اختيارات :

« وصار بذلك قبول اختياراتهم على صورة الإجماع » (٢) .

هذا وقد وصف ابن الجزرى كلام الرازى (٣) بانه فى غايـة الإنصاف والمتانة .

* **اختيار اللهجات فى القراءات :**

ليست اللهجات مجرد تنوع فى النطق فقط ، ولكنها تشتمل على الفصيح وعلى الهابط أيضًا .

ولقد اجتهد القرَّاء فى اختيار الفصيح من اللهجات ، ونبذ الهابط منها عند اختيار حروف القراءة .

يقـــول د . عبد الصبـــور شاهين فى مـــقدمة كتابـــه « أبو عمرو بن العلاء » (٤) :

« إن قراءات القرآن على اختلافها لم يرد فيها ما يتصل **بالظواهر اللهجية الهابطة ، كالعنعنة والكشكشة والفحفحة والعجعجة والاستنطاء** ، فقد آل أغلب ذلك إلى الانقراض ، بل اشتملت على الظواهر الراقية التى تتناسب وفصاحة اللسان العربى ، وقداسة القرآن العربى ، وذلك : **كالإمالة والإدغام والهمز والإسكان** وغيرها من الظواهر . . .

فهذه ظواهر فصحى امتصتها لهجة قريش أو بعضها من تقاليد اللهجات

---

(١) المنجد : ص ٧٤ . (٢) المنجد : ص ٧٥ .

(٣) الإمام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازى .

(٤) أبو عمرو بن العلاء : د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة . سنة ١٩٨٧ ، ص ٩ .

المجاورة ، التى كانت تنازعها السيطرة على لسان العرب ، وبخاصة لهجة تميم » أ . هـ .

*** أمثلة لظواهر لهجية هابطة :**

وفيما يلى أمثلة من بعض ما أورده د . على عبد الواحد وافى فى كتابه « فقه اللغة »[1] وإن لم يقسمها إلى فصحى وهابطة :

*** عنعنة تميم :**

إبدال همزة (أن) عينًا . . . فى لغة تميم .

مثال : (عن توسمت) بدلاً من (أن توسمت) .

*** كشكشة أسد :**

إبدال الكاف شينًا . . . فى لغة أسد .

مثال : (عليش) مكان (عليك) .

*** شنشنة اليمن :**

إبدال الكاف شينًا . . . مطلقًا فى لغة اليمن .

مثال : (لبيش اللهم لبيش) مكان (لبيك اللهم لبيك) .

*** استنطاء هذيل :**

إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء . . . عند هذيل وقيس والأنصار وسعد بن بكر .

مثال : يقولون (إنا أنطيناك الكوثر) فى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾[2] . وهو منتشر فى اللهجات العامية بالعراق فى العصر الحاضر .

ثم يورد د . وافى أمثلة لبعض القراءات التى اشتملت على ظواهر لهجية

---

(١) فقه اللغة : د . على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، ص ١٢٤ – ١٢٧ .

(٢) الكوثر : ١ .

وأن وضع لها عناوين توحى بأنها ما يطلق عليه علماء القراءات « الأصول » مثل الهمز ، والإمالة ، والإدغام ، والتفخيم ، والإبدال ، وغيرها : وكأنه بذلك يلفت النظر إلى الدور الذى لعبته « اللهجات » فى أصول القراءة ، ومن أمثلة ذلك :

* همز ياء (النبى) فى بعض اللهجات .

مثال : (النبيء) . وبها جاءت قراءة نافع المدنى .

* تسكين ذال (أذن) فى بعض اللهجات .

مثال : (أذْن) بدلا من (أذُن) . وبها جاءت قراءة نافع أيضًا .

* همز الياء .

مثال : (ضئاء) بدلاً من (ضياء) . وبذلك جاءت قراءة ابن كثير المكى .

* إدغام الصوتين المتحدين فى المخرج أو المتقاربين فيه إذا تجاورا .

مثال : (اتختم) بدلا من (اتخذتم) وبذلك جاءت قراءة أبى عمرو البصرى .

* النطق بالصاد فى بعض الكلمات فى صورة بين الصاد والزاى .

مثال : (الصراط) . وبها جاءت قراءة حمزة .

هذا ، ونظرًا لعدم وجود مقياس دقيق وحد واضح يفصل بين ما يمكن اعتباره فصيحًا وبين ما يمكن اعتباره هابطًا فى اللهجات ، فإن « صراعًا ما » قد نشأ بين اللهجات ، بعد الترخيص بالقراءة على الأحرف السبعة ، على النطق بحروف القرآن بهذه اللهجة أو تلك . ومع أنه لم يرد عن النبى ﷺ إلا إقراره وتصويبه لكل من اختلفت قراءته فاحتكم إليه ، إلا أن ذلك لم يستمر بعد وفاته ، حيث كان للصحابة آراء بهذا الخصوص ، نبعت كلها من واقع فهمهم وإدراكهم لمفهوم ومعنى رخصة التيسير .

*** آراء الصحابه فيما يخص اللهجات :**

فعثمان بن عفان (رضى الله عنه) ورد عنه – بصرف النظر عن صحة

السند – ما يفيد بأن هذا الموضوع كان يشغله كما كان يشغل اهتمام الرأى العام حين شرع فى كتابة المصحف العثمانى الإمام .

يقول السجستانى فى كتابه « المصاحف » [1] :

« حدثنا عبد الله قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرنى أبىّ قال : أخبرنا سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .

وفى حديث آخر يقول السجستانى :

« حدثنا ... عن زياد بن أبى المليح عن أبيه :

قال عثمان بن عفان : يملى هزيل ويكتب ثقيف » [2] .

ويقول الإمام مكى فى الإبانة [3] :

« وقال عثمان للرهط من قريش : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيىء من القرآن ، فاكتبوه **بلسان قريش** ، فإنما انزل بلسانها » أ . هـ .

وهكذا اختلفت الروايات حول عثمان ، وإن كان الأغلب أن اختار لهجة قريش ولغتها ولسانها عندما أمر بكتابة المصاحف .

أما عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فقد وردت عنه أيضًا الكثير من الأخبار التى توضح مدى اهتمامه بالموضوع ، ودوره الفاعل فى اختيار ، أو ترجيح لهجة عن لهجة ، أو اختيار ظاهرة لهجية فصيحة وإن لم تكن قرشية .

يقول السجستانى [4] :

« حدثنا ... قال : لما أراد عمر (ابن الخطاب) أن يكتب الإمام ، أقعد له نفرًا من أصحابه وقال :

---

(١) كتاب المصاحف : للسجستانى ، ص ٣٢ .

(٢) المصاحف : ص ٣٤ .

(٣) الإبانة : ص ٦٥ .

(٤) المصاحف : ص ١٧ .

إذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل على رجل من مضر » .

وقال السجستانى أيضًا [1] :

« حدثنا ... قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

لا يملين فى مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » .

وقال السجستانى [2] :

« والألحان اللغات : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

إنا لنرغب عن كثير من لحن أبى ... يعنى لغة أبى (بن كعب) » .

ويقول د . عبد الصبور شاهين [3] :

« وقد كانت مبالغة ابن مسعود فى التزام رواياته والاعتزار بقراءته ، مدعاة إلى أن ينكر عمر رضى الله عنه مسلكه ، فكتب إليه حين علم أنه يقرىء الناس (عتى حين) :

« إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » [4] .

وبعد دراسة متعمقة ، يثبت د . عبد الصبور شاهين فى كتابه « أبو عمرو ابن العلاء » أن « عمر بن الخطاب كان أحد المصادر التى روت قراءة الإدغام عن رسول الله ﷺ ، وأخذت عنه هذه القراءة » [5] بالرغم من أن الإدغام هو إحدى الظواهر اللهجية لتميم ، أما قراءة قريش فقد اشتهرت بالتحقيق وليس بالإدغام . إلا أن د . شاهين قد اعتبر الإدغام التميمى ظاهرة لهجية راقية وفصيحة ، ولهذا

---

(١) المصاحف : ص ١٧ . (٢) المصاحف : ص ٤١ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٥ .

(٤) القراءات واللهجات : عبد الوهاب حمودة ص ٨ .

(٥) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٨ .

تبناها عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة ، على حين اعترض عمر على غيرها من الظواهر اللهجية الهابطة – فى رأيه – ،كما أوضحنا .

وكان هذا هو مفهوم الاختيار فى مجال اللهجات ، الذى بدأ منذ عهد الصحابة ، واستمر حتى ظهر جليًا واضحًا عند القرّاء من التابعين وتابعى التابعين ومن جاء بعدهم .

*** اختيار أبى عمرو بن العلاء إدغام تميم :**

ولقد اشتهر قارىء البصرة أبو عمرو بن العلاء بالإدغام ، حتى كان أحد السمات المميزة لقراءته . وقد جاء هذا اختياراً منه لظاهرة لهجية فصيحة راقية ، فى خدود الرواية ، فالقراءة « سنة متبعة » .

ويبلور د . شاهين ذلك فيقول (١) :

« فأبو عمرو فى اختياره لقراءته كان خاضعًا لاعتبارين :

(١) التزام الصدق فى الرواية عن النبى ﷺ أولا وقبل كل شىء ، وذلك أساس اختياره .

(٢) **الصراع العلمى** بين القبائل التى دخلت فى الإسلام ، وقد ألقى هذا الاعتبار ظله على انفراده بالإدغام بهذه الصورة الشاملة .

ولم يكن هذا الانفراد انتصاراً خالصًا للهجة معينة ، بقدر ما كان استخدامًا لظاهرة لغوية راقية ، فى تلاوة أرقى نص لغوى » .

هذا ، ويمكنك فهم هذه العبارة جيداً إذا علمت أن القارىء أبو عمرو بن العلاء كان ينتسب لتميم ، وإن الإدغام الذى اشتهر به دونًا عن باقى القرّاء كان لهجة تميمية . وأن أبا عمرو لم يأت اختياره تعصبا للهجة قومه بقدر ما جاء اختياراً للأفصح من لغات العرب وفى إطار ما ورد بالرواية . فأتى اختياره هنا بمثابة تذوق وميل وحب للإدغام ، « فاختاره لقراءته من بين ذلك الحشد الهائل من الروايات والقراءات الذى تحصل لديه » (٢) .

---

(١) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٦ .

(٢) السابق : نفس الصفحة .

ولما صادف اختيار أبى عمرو هذا قبولاً لدى « الرأى العام » ، فقد التف الناس حول قراءته حتى ذاعت واشـــتهرت فى الأمـــصار ، ومن هنا اختارها ابن مجاهد حين سبع ســـبعته . ثم هذا لأبى عمرو بعد أن تعرض لأكثر من اختبار ، أجراه له « الرأى العام » ليستوثق من أن اختياره هذا قد جاء عن رواية متواترة ، وفى كل مرة كان أبو عمرو ينجـــح فى إثبات ذلك ، حتى اطمان الناس . ولم يكن ذلك أمراً سهلاً بالمرة (١) .

* * *

*** عاصم ... قارىء اختار ألا يختار :**

وحفص ... روى عن عاصم بلا اختيار :

على النقيض من أبى عمرو بن العـــلاء ، جاءت تصـــريحات عاصم بن أبى النجود لتؤكد أنه لم يخالف أستاذه وشيخه أبا عبد الرحمن السُّلَمى فى حرف واحد من حروف القرآن . وعلى هذا النهج سار تلميذه وربيبه وراويه « حفص » ليؤكد أنه لم يخالف شـــيخه وأستاذه عاصم فى حرف واحـــد من قراءته ، بل وأكثر من هذا يعلن – وبفخر يحسب له – أنه لم يقرأ على أحد سوى أستاذه عاصم .

وهكذا وصلتنا رواية حفص عن قراءة عاصم بلا خلاف فى حرف واحد .

وهى القراءة التى حققت النصر الاستراتيجى – على المدى البعيد – وإن لم تحقق النصر التاكتيكى فى بدء ظهورها ، على الأقل بين العوام لأسباب سبق ذكرها ، ويأتى فى مقدمتها أسباب تتعلق بالخيلاء الذى اشتهر عن عاصم والترفع الذى جعل راويه الثانى شعبه لا يمكن الناس من نفسه ، حتى جاء اليوم الذى لا تجد فيه من يقرأ بقراءة عاصم فى الكوفة إلا الرجل أو الرجلان ، فى حين التف الجميع حول قراءة حمزة – المنافس العتيد لعاصم – لتستحوذ على شعبية قاهرة فى حينها .

---

(١) انظر : أبو عمرو بن العلاء د . عبد الصبور شاهين .

إلا أن « الصفوة » من القرّاء والرواة فى كافة الأمصار كان لهم رأى آخر . فقد علموا فضل هذه القراءة – التى أتت بلا اختيار – وبإسناد غاية فى العلو ، فالتف الجميع حولها مع مرور الوقت ، يأخذون عنها ويختارون منها لقراءاتهم ، أعلنوا ذلك أم أخفوه ، فقد أثبتته الإحصاءات ، وبخاصة فى فرش الحروف .

فقد اتجه نحو حروف عاصم بحفص عنه ، القارئان النحويان ، أبى عمر بن العلاء فى البصرة ، والكسائى فى الكوفة ، وهما من السبعة . وقد تابعهما على نفس الاتجاه ، القارئ يعقوب فى البصرة وخلف فى الكوفة وهما من العشرة وفى المدينة ، اتجهت اختيارات نافع فى فرش الحروف نحو رواية حفص عن عاصم .

ولم يشذ عن ذلك التوجه سوى ابن محيصن فى مكة ، وقد علمنا كيف هجر الناس قراءته إلى قراءة معاصره ابن كثير الذى ارتبط فرش حروفه بقراءة عاصم بحفص عنه هو الآخر .

أما ابن عامر قارىء الشام الأوحد بعد أبى الدرداء فقد جاء ارتباطه بقراءة عاصم على القمة ، ويبدو أن ذلك كان من العوامل التى شجعت ابن مجاهد على أن يدخله فى سبعته المشهورة .

أما اليوم ، فرواية حفص عن عاصم هى التى تتربع على عرش الشهرة فى معظم أنحاء العالم الإسلامى ، لتعلن بعد نحو خمسة عشر قرنًا من الزمان ، قتلت فيه القراءات والروايات بحثًا وتدقيقًا ، أنها الاختيار الأنسب .

وتنتهى رواية حفص عن عاصم إلى القطبين عثمان وعلىّ رضى الله عنهما . فقد كان أبو عبد الرحمن السلمى يسمع من عثمان ويعرض على علىٍّ . وعن السلمى قرأ عاصم ، فلم يخالفه فى حرف واحد مما أخذه عن عثمان وعلى . وعن عاصم روى حفص ، فلم يخالفه فى حرف واحد مما قرأه على السلمى .

وقد حدث أبو بكر بن عياش (شعبة) قال : قال لى عاصم :

« ما أقرانى أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن السلمى ، وكنت أرجع من

عنده فأعـــرض على زر (بن حبيش) ، وكان زر قد قرأ على عبد الله (بن مسعود) [1] .

روى حفص عن عاصم ، قال : قال لى عاصم :

ما كان من القراءة التى أقرأتك بها فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمى عن علىٍّ . وما كان من القراءة التى أقـــرأتها أبا بكر ابن عياش (شعبه) - وهو مكثر فى الإمالة عن عاصم - فهى القراءة التى كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود » [2] .

وهكذا يبين لنا هذا الخبر أن عاصمًا لم ينتهج منهج الاختيار عند قراءته عن شيوخه ، بمعنى الخلط بين القراءات المختلفة ، والخروج بتوليفة تعبر عن مذهب له ذا طابع متميز ، كما فعل أبو عمرو مثلاً . ولكنه كان شديد الحرص على أن ينقل كل قراءة أخذها عن واحد من شيوخه ، تمامًا كما تلقاها منه ، نقية من أى اختيار لشيخ آخر يغير من معالمها .

فنقل قراءة السلمى إلى حفص ، تمامًا كما أخذها عنه ، لم يخالفه فى حرف واحد ، فجاءت خالية من الإمالة إلا فى كلمة (مجريها) .

وأقرأ راويه الثانى أبا بكر بن عياش (شعبة) قراءة أخذها عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، كثرت فيها الإمالة .

وإلى هذه النتيجة وصل الدكتور عبد الفتاح شلبى فى رسالة الماجستير عن الإمالة فى القراءات واللهجات العربية .

فإن قلت إن ابن مجاهد قد أورد أن الاختلاف بين حفص وشعبة فى روايتهما عن عاصم قد بلغ خمسمائة وعشرين حرفًا [3] .

---

(١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية : رسالة ماجستير للدكتور عبد الفتاح شلبى ، دار نهضة مصر ، ص ١٢٣ ، والسبعة : لابن مجاهد ص ٧٠ .

(٢) الإمالة : ص ١٢٤ .

(٣) السبعة : هامش ص ٧١ .

أقول : إنه اختلاف معلوم المصدر . فرواية حفص عن عاصم تنتهى إلى السلمى ، أما رواية شعبة عن عاصم فتنتهى إلى زر بن حبيش .

وتنتهى قراءة السلمى إلى علىٍّ وعثمان ، فى حين تنتهى قراءة زر بن حبيش إلى ابن مسعود ، وعنه جاءت الإمالة .

هذا ولم يفعل عاصم- باسم الاختيار - ما فعله غيره من القرَّاء حين خلطوا اختياراتهم من هنا وهناك بعضها ببعض ، فوصلتنا قراءة مهجنة غير نقية . وكان عاصم قادراً على أن يفعل ذلك دون شك ، إلا أنه آثر أن ينقل لنا قراءة شيوخه نقية تماماً . وترك لمن خلفه مهمة الاختيار بين قراءته النقية عن مصادره الواضحة ، وقراءة غيره المهجنة فرشًا أو أصولاً أو كليهما معًا .

واعتقد أن هذا السبب وحده كان كافيا لأن تنتصر قراءة عاصم برواية حفص عنه فى المعركة فى النهاية ، اختياراً من الناس والتاريخ معًا .

أنظر إلى الفرق بين هذا المنهج : منهج حفص عن عاصم عن السلمى عن علىٍّ وعثمان بلا اختلاف فى حرف واحد ، وبين منهج الكسائى قارىء الكوفة (من السبعة) حين خالف قراءة أستاذه حمزة (من السبعة أيضاً) فى نحو ثلاثمائة حرف لأنه قرأ على غيره ، فاختار من قراءة حمزة ، ومن قراءة غيره قراءة ، وترك منها كثيراً ، على حد تعبير الإمام مكى بن أبى طالب [1] .

أو انظر لأبى عمرو بن العلاء ، فقد قرأ على ابن كثير (قارىء مكة ، من السبعة) وهو يخالفه فى أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، لأنه قرأ على غيره ، واختار من قراءته (ابن كثير) ومن قراءة غيره قراءة [2] .

ويقول ابن مجاهد [3] : « اختار الكسائى من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة » . إلا أنه لم يذكر على وجه التحديد عن أى إمام من هؤلاء الأئمة ترك الكسائى اختيار شيخه وأستاذه حمزة إلى اختياره فى كل حرف من حروف الاختلاف .

---

(١) الإبانة : ص ٥٠ . (٢) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٣) السبعة : ص ٣٥ .

* نافع يختار لنفسه ، ولا يختار لغيره :

إما رواية ورش عن نافع المدنى ، وهى الرواية التى ما زالت محتفظة بكيانها إلى جانب رواية حفص عن عاصم ، حيث يقرأ بها المغرب وأجزاء من السودان وغيرها فى الوقت الحاضر ، وضبطت بها المصاحف هناك ، فيقول عنها الإمام مكى فى إبانته (١) :

« وهذا قالون (الراوى الثانى لنافع) ربيب (نافع) وأخص الناس به . وورش أشهر الناس فى المتحملين إليه ، اختلفا فى أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، من قطع وهمز ، وتخفيف وإدغام وشبيهه .

ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية ورش عنه ، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش .

وإنما ذلك لأن ورشًا قرأ عليه (نافع) بما تعلم فى بلده ، فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمته ، فتركه على ذلك .

وكذلك ما قرأ عليه قالون وغيره » أ هـ .

فانظر الفرق هنا بين منهج عاصم ومنهج نافع . فنافع لا يقرىء ورشًا ولا قالون بما اختاره من القراءة ، ولكنه « **يقرهما** » على ما قرءا عليه بشرط أن يكون قد سمع ذلك من شيوخه .

فإذا سألت عن عدد شيوخه ، أجبتك على لسان نافع بأنهم أكثر من سبعين شيخًا من التابعين .

يقول نافع :

« قرأت على سبعين من التابعين ، فما اتفق عليه اثنان أخذته ، وما شذ فيه واحد تركته » .

---

(١) الإبانة : ص ٨٤ .

ويعقب مكى بن أبى طالب : فكان مما قرأ عليه بما اتفق فيه اثنان من أئمته لم ينكر عليه ذلك [١] .

إلا أن ما نود الإشارة إليه هنا هو التساؤل الآتى :

من هم على وجه التحديد شيوخ ورش الذين قرأ عليهم بمصر ، وأقره نافع على قراءته عنهم ؟

أعتقد أنك لن تجد لهذا السؤال إجابة محددة ، **وهو جدير بأن يكون نقطة بحث لرسالة ماجستير أو دكتوراه** . فإذا نجح الباحث فى التوصل إلى تفسير ، وجب ساعتها على علماء القراءات واللغويين المعاصرين أن ييسروا ما تم التوصل إليه للذكر ، فيطرحوه ، وأمثاله ، فى كتب منشورة بلغة سهلة ميسرة ، تكفى المسلمين – من غير المتخصصين – مؤونة الغوص فى المتاهات والخروج بلا شيىء .

ونعود إلى منهج نافع ، حيث لم يقرىء أحداً بقراءته التى اختارها لنفسه إلا أن يطلب منه ذلك .

يقول مكى [٢] : « وقد روى عنه (نافع) أنه كان يقـــرىء الناس بكل ما قرأ به حتى يقال له :

نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت » .

ويقول أيضاً [٣] : « وقد روى عن غير نافع أنه كان يرد على أحد ممن يقرأ عليه إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمته .

فإن قيل له : أقرئنا بما اخترته من روايتك ، أقرأ بذلك » .

* * *

---

(١) الإبانة : ص ٨٣ .
(٢) الإبانة : ص ٨٤ .
(٣) الإبانة : ص ٨٥ .